وَشْمُ الخُلود

شعر / أحمد القدومي

رَجْعُ الأذانِ على الآذانِ يَنْتَحِرُ ... وَالفَجْرُ يَنْزِفُ مَطْعُونَاً بِهِ السَّحَرُ

واللَّيْلُ يُطْرِقُ والأنْسَامُ واجِمَةٌ ... وَالنَّارُ تَحْرِقُ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ

في هَدْأةِ اللَّيلِ والأطْيَارُ حَالِمَةٌ ... بِالفَجْرِ يَأتي وَبِالأرْزَاقِ تَنْهَمِرُ

تَرَنَّحَ المِنْبَرُ المَطْعُونُ واخْتَنَقَتْ ... في الصَّدْرِ صَرْخَةُ مَنْ صَلّوا ومَنْ ذَكَرُوا

وَقَدْ تَنَاثَرَ في المِحْرَابِ مَنْ سَجَدُوا ... للهِ فَجْرَاً، وَغَابَ السَّمْعُ والبَصَرُ

وَمَادَتِ الأرْضُ مِنْ هَوْلِ المُصابِ فَمَنْ ... لِلقَلْبِ يَجْأرُ مَصْلوبَاً بِهِ الوَتَرُ

تَبْكِي الخَلِيلُ على أبْنَائِها بِدَمٍ ... خَطَّ الفِداءَ على أمْجَادِهِ حَجَرُ

وَثَوْرَةُ الصِّيدِ في الأرْجَاءِ مَلْحَمَةٌ ... لِلثَّأرِ تَعصِفُ بِالأوغَادِ مُذْ عَبَرُوا

ذِكْرَى الشَّهيدِ عَلى المِحْرَابِ لي قَسَمٌ ... فَلا وَرَبِّكَ لَنْ يَبْقَى لَهُمْ أثَرُ

خَلْفَ الزَّمَانِ مَواويلُ الرَّدَى نَسَجَتْ ... دُنْيَا العَذَابِ أنِينَاً فِيَّ يَسْتَعِرُ

وَمَا اجْتَبَيْتُ لِنَفْسِي أنْ أكُونَ صَدَى ... نَزْفَ الوَدَاعِ، وَلكنَّ النَّوَى سَقَرُ

مَا خَالطَ العُمْرَ يَوْمٌ فِيهِ مُتَّكَأٌ ... لِفَرْحَةِ القَلْبِ، إلاَّ شَابَهُ كَدَرُ

وَلا سَألْتُ زَمَاني فَرْحَةً وَغَدَتْ ... في الرُّوحِ تُبْحِرُ إلاَّ غَالَهَا خَبَرُ

كَأنَّ فَرْحَةَ شَعْبِي لَمْ تَزَلْ وَهَجَاً ... بَيْنَ السَّرابِ، فَلاَ غَيْثٌ وَلا مَطَرُ

دَمُ الأحِبَّةِ يَجْري في مَسَاجِدِنَا ... وَنَحْنُ نَدْعُو عَلى الكُفَّارِ مُذْ كَفَرُوا

لَنْ يَقْبَلَ اللهُ مِنَّا زَيْفَ أدْعِيَةٍ ... وَفي القُلوبِ أمَانٍ لفَّهَا خَوَرُ

فَلاَ جِيَادُ صَلاحِ الدِّينِ تُسْعِفُنَا ... وَلا كَتَائِبُ سَيْفِ اللهِ تَبْتَدِرُ

وَلا المُثَنَّى يَقُودُ اليَوْمَ جَحْفَلَهُ ... صَوْبَ الخَلِيلِ وَلا عَمْرو وَلا عُمَرُ

فَقَدْ تَمُرُّ عَلى أشْلائِكُمْ أُمَمٌ ... مَرَّ اللِّئامِ، وَقَدْ يَنْسَاكُمُ البَشَرُ

وَقَدْ يَمُرُّ على ذِكْرَاكُمُ زَمَنٌ ... يُغْضِي حَيَاءً، وَتُخْفِي ذِكْرَكُمْ عُصُرُ

لَكِنَّ نَفْحَ الدَّمِ المَسْفُوحِ في وَطَنِي ... وَشْمُ الخُلودِ، وَنَصْرٌ صَاغَهُ القَدَرُ

مسرحية

أقلام واعدة

قبل الغروب

كتبها/ علي الغريب

المشهد الأول

غرفة إدارة مصنع نور الهدى للملابس الجاهزة.. يوجد مكتب عن يمين المسرح، تعتليه لافتة صغيرة، كتب عليها: (صابر عبدالصبور - محاسب).. ومكتب آخر عن يسار المسرح، تعتليه لافتة صغيرة أيضاً، مكتوب عليها (رمزي أمين - موظف أرشيف) أما صدر المسرح، فيوجد به مكتب ضخم، ونفس اللافتة الصغيرة، مكتب عليها (محتسب عبدربه مدير الإدارة) والحائط من خلفه تعتليه لافتة كبيرة، زينت بمصابيح النيون، مكتوب عليها بخط منمق جميل (مصنع نور الهدى للملابس الجاهزة) الغرفة لها بابان.. باب عن يمين المسرح، وهذا يفضي إلى الخارج، وباب عن يساره، وهذا يفضي إلى داخل المصنع.. يدخل عائش، عامل نظافة بالمصنع، مبتدئاً بتلميع المكاتب، وفي يده شطيرة، ويترنم بكلمات غنائية).

عائش : أحزان قلبي لا تزول، حتى أبشر بالقبول. وأرى كتابي باليمين، وتقر عيني بالرسول. أحزان قلبي.. والله العظيم أرى صوتي لا يقل شيئاً عن صوت أبي مازن نفسه.

رمزي : (يدخل عابساً، جامد الملامح، متوجهاً نحو مكتبه).

عائش : (يستوقفه ممازحاً) يبدو أن كل ما ورد في قاموس التحية من عبارات قد استنفد لديك، لذلك آثرت أن تكون تحية اليوم على هذا النحو.

رمزي : (في بلادة وكأنه مل عبارة كل يوم) كيف حالك يا عائش؟

عائش : الحمد لله.. عائش.. آكل وأشرب وأنام وأغني.. كيف حالك أنت يا رمزي؟

رمزي : (يتنهد ثم يقول في ضجر) الحمدلله.

عائش : ولِمَ تقولها هكذا في غير رضا؟

رمزي : كيف أرضى وأنا أرى كل الناس من حولنا ينعمون بخيرات الله وأنا مكبل في الأرشيف؟ علاوة على ذلك هذا المدير الذي دائماً وأبداً يبيع إنتاجنا بأبخس الأسعار، مما يترتب عليه ضَعْف أجورنا، ومن هنا لا نستطيع أن نعيش كما يعيش الآخرون.

عائش : وكيف لا تعيش كما يعيش الآخرون؟ ألا تأكل؟ ألا تشرب؟ ألا تنام؟

رمزي : لا أجد ما آكله أو ما أشربه!

عائش : (في حرارة) ولماذا لم تقل لي ذلك عندما دخلت؟ خذ ما تبقى من هذه الشطيرة إنها فول بالزيت الحار.

رمزي : (ساخراً) فول؟! لقد مللت طعام الحيوانات أريد أن أستشعر آدميتي.. ألا تفهم؟!

عائش : تعني أن الفول طعام الحيوانات (يلتهم ما تبقى دفعة واحدة، يتحدث والطعام ملء فمه) سامحك الله يا رمزي أفندي، وما الذي تريد أن يفعله المدير؟ إنه يبيع بأسعار قليلة، فيرفع المعاناة عن أهل البلد، ودائماً يقول: القليل مع القليل كثير.

رمزي : هذا خطأ، فالقليل مع القليل قليل.

عائش : أنت تتحدث بكلام، صعب عليّ استيعابه، سأذهب إلى المطبخ، فأنا أحس بجوع قاتل (يخرج).

رمزي : (يتحدث إلى نفسه) جوع قاتل.. كل هذا وتقول جوع قاتل؟

عائش : (يدخل ثانية وفي يده شطيرة أخرى) أرأيت يا رمزي أفندي؟

رمزي : لم أر شيئاً.

عائش : ألم أقل لك إن الحاج محتسب رجل خير؟

رمزي : ماذا تعني؟

عائش : تعال انظر (يشير إلى الباب).

رمزي : (يتجه نحو الباب) ما كل هذه الجموع؟ هل هنالك مظاهرة؟!

عائش : (يضحك حتى يهتز كرشه) إنهم فقراء البلد والبلاد المجاورة.

رمزي : ماذا بهم؟

عائش : أتوا ليأخذوا عادتهم السنوية، من الحاج محتسب كما عودهم.

رمزي : (في غضب) ألم أقل لك إن هذا هو سبب شقائنا؟.. إن

(*) ننشر هنا المشهدين الأول والثاني من مسرحية «قبل الغروب» ونعتذر لعدم نشرها كاملاً لضيق المساحة (التحرير).

أقلام واعدة

هؤلاء الناس كسالى، وهم السبب في تدهور حالنا (يدخل محتسب مدير المصنع).

محتسب: السلام عليكم.

عائش : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

محتسب: كيف حالك يا أستاذ رمزي؟

رمزي : (في اقتضاب) بخير.

محتسب: ألم يأت صابر بعد؟

عائش : لا (يخرج).

صابر : (يدخل) السلام عليكم.

رمزي : (يجلس خلف مكتبه في غير رضا).

محتسب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. هيا يا صابر أريد أن تصرف لهؤلاء الناس مستحقاتهم.

صابر : أي ناس؟

محتسب: الموجودون بالخارج.

صابر : تقصد أهلنا من الفقراء؟

محتسب: نعم هم... والآن سوف أدخل المصنع كي أطمئن على سير العمل (يخرج).

رمزي : (يغمغم) أهلنا من الفقراء!!

صابر : كيف حالك يا رمزي؟

رمزي : (يمط شفتيه ثم يتنهد) بخير .

صابر : لا حول ولا قوة إلاّ بالله.. يا أخي قل الحمد لله.

رمزي : علام أقول الحمد لله؟

صابر : لا بد أن تحمده في جميع الأحوال.

رمزي : أحمده على أنني أعيش بالكفاف أو أكاد؟

صابر : غيرك من الناس لا يجد الكفاف.

رمزي : وما ذنبي في ذلك؟

صابر : ليس هناك حل غير ذلك، إلى أن يأتي الله بفرجه.

رمزي : ومتى يأتي فرجه هذا؟ هناك ألف حل وحل.

صابر : أين هي كل هذه الحلول إذن؟

رمزي : هؤلاء الناس الموجودون بالخارج، ينتظرون إعانة، والأسعار المنخفضة لسلع المصنع.. وأجورنا المتواضعة.

صابر : أولاً بخصوص الناس الموجودين بالخارج، فأنت ما زلت حديث عهد بالعمل مع الحاج محتسبٍ، ولا تعرفه جيداً، فهو يعتبر كل ما يأخذه هؤلاء الناس ما هو إلاّ حقهم.. ودائماً يقول إن هذا رزق قد ساقه الله لهؤلاء الناس على أيدينا، بل على الأصح أننا نعيش ونقتات من فيض الله عليهم، وكما يقول الله تعالى: ﴿**وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ صدق الله العظيم..ثانياً الأسعار المنخفضة تأتي للمصنع بعائد يجعله يستمر في عمله، ونعيش نحن منه، والأهم من ذلك أننا نرفع المعاناة عن أهلنا، ذوي الحال الرقيق، وبعد ذلك يتبقى للحاج محتسب من أرباحه ما يدخره.. ثالثاً أجورنا المتواضعة لو أنفقناها في مواضعها لكانت كافية، ولبقي منها شيء، ولا داعي للترف الزائد عن الحد.

رمزي : (في عصبية) أنحن مصلحون اجتماعيون؟

صابر : يقول رسولنا الكريم «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»

رمزي : ثم ماذا؟

صابر : (في ود) ثم لا تشغل نفسك بهذه الأمور، فالرزق مكفول عند الله سبحانه.. المهم أن نرضى، فالرضا هو مفتاح السعادة.. والويل ثم الويل لنا إن لم نرض، فسوف نضل الطريق، ونتخبط فيه، ولن نصل إلى شيء (يتقدم نحو رمزي ويربت على كتفه في عطف) هيا يا رمزي لنخرج الكساء لأهلنا (رمزي لا يجد بدّاً من ذلك.. يخرجان) (يدخل محتسب ويجلس خلف مكتبه، ثم يدخل عليه رجل غريب يتلفت يميناً ويساراً كاللص).

..... السلام عليكم.

محتسب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

..... شلهوب اسمي شلهوب.

محتسب: أهلاً وسهلاً تفضل (يشير إليه بالجلوس).

شلهوب: (يجلس) حضرتك الحاج محتسب صاحب المصنع؟

محتسب : نعم.. هذا صحيح.

شلهوب: لقد سمعت أنك تنوي بيع المصنع.

محتسب: كنت أنوي.

شلهوب: والآن.

محتسب: لا.

شلهوب: ولِمَ.

محتسب: لأسباب شخصية.

شلهوب: وما هذه الأسباب؟

محتسب: (مستنكراً) ماذا؟

شلهوب: ...أقصد ولِمَ لا تبيعه؟

محتسب: (يضع وجهه بين راحتيه) لأسباب شخصية.

شلهوب: (هامساً لنفسه) لا بد أن أحظى بهذا المصنع إنه لذو موقع خطير.

محتسب: ماذا؟.

شلهوب: أقول أنني سوف أدفع لك ثلاثة أضعاف قيمته.

محتسب: لن أبيع.

شلهوب: أرجوك يا حاج سوف أدفع لك عشرة أضعاف قيمته.

محتسب: (في ضجر) قلت لن أبيع. هل تشرب شيئاً؟

شلهوب: شكراً.. السلام عليكم (يخرج) (يدخل الدكتور مجاهد

والدكتور سمير).

مجاهد: السلام عليكم.

محتسب: (يقوم فيصافحهما) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. أهلاً وسهلاً، تفضلا.

مجاهد: أنا اسمي مجاهد، أعمل طبيباً، وهذا زميلي الدكتور سمير.

محتسب: تشرفنا.. تفضلا (يشير إليهما بالجلوس فيجلسان).

مجاهد: الحقيقة أننا فكرنا في تكوين قافلة طبية، تكون نقطة بدايتها البلد، ثم نتجول بعد ذلك في البلاد المجاورة، وذلك لتقديم العلاج، والعمل على التوعية الصحية، والتحذير من خطر الأوبئة.

محتسب: فكرة طيبة... ومتى ستبدآن إن شاء الله؟

مجاهد: عما قريب إن شاء الله، فقد أرسلنا إلى كل الأطباء في البلاد المجاورة، ندعوهم للمشاركة، لكي نضمن وجود كافة التخصصات، أو معظمها على الأقل.

محتسب: بارك الله فيكما.. هل يمكنني المساعدة بشيء.

مجاهد: الحقيقة أننا بحاجة إلى جزء من مؤخرة المصنع، إن كان بالإمكان الاستغناء عنها لمدة أسبوع فقط، وذلك لضيق مستوصفنا.

محتسب: إذا أردتما المصنع كاملاً فلا بأس.

مجاهد: أكثر الله من أمثالك.

محتسب: غداً في الصباح إن شاء الله، سيكون المكان مرتباً ونظيفاً، وجاهزاً للعمل.

(يقومان فيصافحانه ثم يخرجان.. يدخل صابر منكس الرأس حزيناً).

محتسب: ماذا بك؟

صابر: لا شيء.

محتسب: قل ما وراءك؟

صابر: رأيت الآن ما أفزعني.

محتسب: ماذا رأيت؟

صابر: (في صوت مختلط بالبكاء) رأيت بين الناس الموجودين امرأة معها أربعة من الأطفال، أكبرهم في سن السادسة وأصغرهم عمره ستة أشهر، وقد توفي عنها زوجها (يتوقف).

محتسب: (باهتمام شديد) ثم ماذا؟ تكلم!

صابر: ثم إنهم يرتدون ملابس رثة ممزقة.. أما أجسادهم فقد صارت عظاماً يكسوها جلد رقيق، وأمهم في الحالة نفسها، فدنوت من المرأة وسألتها عن حالها، فقالت لي إنهم منذ شهرين تقريباً، لا يجدون ما يقتاتون به، ولا يوجد لديهم إلاّ بعض حفنات الدقيق والأرز، وأنها كثيراً ما ملأت القدر بالحجارة ووضعته على النار يغلي، لكي توهم أطفالها بإعداد الطعام، في حين أنه يوجد من ينفق في وجبة العشاء الواحدة ما يكفي حاجة هذه المرأة عاماً كاملاً!!

أقلام واعدة

(يبلع ريقه) عند هذا تذكرت عمر بن الخطاب، وموقفه مع المرأة، أخت المرأة نفسها، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان.

محتسب: هوّن عليك يا صابر.

صابر: (يبكي ويشهق) إنهم مسلمون؟

محتسب: (في لهجة الواثق بالله) اصبر يا صابر.

عائش: (يدخل وفي يده شطيرة وكرشه يهتز أمامه، متوجهاً نحو صابر) ماذا يبكيك يا أستاذ صابر؟

صابر: لا شيء، يا عائش.

عائش: خذ، خذ حلاوة طحينية.

صابر: شكراً يا عائش.

عائش: ضروري أن تأخذ، خذ لكي يذهب عنك الهم.

صابر: شكراً يا عائش

عائش: لا بد أن تأ...

محتسب: (يقاطعه) ماذا تريد يا عائش

عائش: رمزي أفندي يستفسر هل تريد شيئاً من الناس؟

محتسب: لا. شكراً لا أريد شيئاً.

عائش: (يخرج).

صابر: (بعد تفكير) لقد نويت السفر.

محتسب: إلى أين؟

صابر: أرض الله واسعة.. لا أستطيع رؤية هذه المواقف إنها تذبحني.

محتسب: كم أنا سعيد بمشاعرك هذه يا صابر. لكن يجب عليك أن تضبط مشاعرك أكثر من ذلك.

صابر: لقد هالني ما رأيت.

محتسب: إن ما تراه يحدث دائماً، بل لا بد أن يحدث!

صابر: لماذا؟ أهي سنة الحياة؟

محتسب: ليست سنة الحياة، إنما هي سنتكم أنتم.

صابر: نحن؟!! نحن من؟!

محتسب: أنتم يا من تريدون السفر.. إن السبب الحقيقي وراء كل ما تراه، ويتقطع قلبك ألماً عليه، هو سفر أمثالك، والهروب من المواجهة.

صابر: مواجهة من؟

محتسب: مواجهة الواقع.. كل هذه الجموع في حاجة إلى من يرفق بها ويحنو عليها لكن للأسف الشديد كلما خرج واحد يعي ويعلم ما يعانيه الناس لا يفكر إلاّ في خلاص نفسه وأول ما يفكر فيه هو السفر أو على الأصح الهروب.

صابر: وما العمل إذن؟

محتسب: (يبتسم) أن تستعين بالله.

أقلام واعدة

صابر : (في رضا) ونعم بالله.
محتسب : هيا قم معي، فأنا مدعو لتناول الشاي عند أحد الأصدقاء وأنت معي.
صابر : (ينظر في ساعته) ولكن الوقت الرسمي للعمل لم ينته بعد.
محتسب : لا عليك. رمزي موجود (يخرجان).
رمزي : (يدخل متحدثاً لنفسه) يا ستار! أعوذ بالله، كل هؤلاء ناس؟ شيء غريب.
(يدخل عليه اثنان ممن لهم معونات).
رمزي : (ينظر إليهما في غيظ) ماذا تريد يا ولد أنت وهو؟
..... نريد نصيبنا من الملابس.
رمزي : وتكذبان أول الأمر.
..... والله العظيم لم نأخذ شيئاً حتى...
رمزي : (يقاطعه) ولِمَ لم تأخذا بعد؟ أين كنتما؟ ....أين كنتما؟! ألا تكفان عن التسكع في الطرقات.
..... لا تسكع ولا شيء يابك كل ما في الأمر...
رمزي : (يقاطعه في سخرية) تقول لي كل ما في الأمر... تفضل اجلس واشرب قهوة!!
..... العفو يا بك
رمزي : ولماذا العفو؟ فأنتما على قدر كاف من الوقاحة.
..... رجاء يا بك نريد الملابس بسرعة إننا مشغولان.
رمزي : مشغولان في ماذا يا ولد؟ أوتذهبان وتتسولان في مكان آخر.. آه يا زمن العجائب يا ابن الـ....
..... نحن لا نتسول يا بك.
رمزي : وماذا تفعلان إذن؟
..... هذا حقنا قد فرضه لنا الحاج محتسب صاحب هذا المصنع.
رمزي : (ينظر إليهما في غيظ شديد).
..... يا بك هات الملابس الله يمد في عمرك.
رمزي : الله يأخذكم من وجهي، ويأخذني معكم، كي أستريح (ينادي) يا عائش. يا عائش.
عائش : (يدخل مسرعاً، يدب الأرض بقدميه الثقيلتين، وجسمه المترهل، ويمسك شطيرة نعم يا رمزي أفندي أتريد شطيرة؟
رمزي : لا أريد.. بل أريد أن تصرف لهذين الوغدين ملابسهما.
عائش : هذا فقط؟
رمزي : نعم.
عائش : (يمسكهما من قفاهما) أمامي يا ولد أنت وهو (يخرجان) تتعالى ضحكات محتسب وصابر من الخارج، يدخلان وعلى وجهيهما أثر ابتسامة رضا).
محتسب : كيف حالك يا أستاذ رمزي؟
رمزي : (يقلب في بعض الأوراق أمامه) مثل كل يوم.
صابر : كيف هذا؟
رمزي : ألا تدري كيف يا صابر؟
صابر : غير راضٍ عما أنت فيه؟
رمزي : بالطبع نعم.
صابر : منذ وقت قصير كنت مثلك، وربما أكثر منك، لقد فكرت في السفر.
رمزي : (وقد انفرجت أساريره) فكرة ممتازة وأنا معك.. متى نويت الرحيل؟
صابر : لا، لن أرحل، فسرعان ما أقلعت عن هذه الفكرة، وعزمت على أن أتفانى في هذا المصنع.
رمزي : (وقد تبددت ملامح الرضا) وعزمت على أن تتفانى في هذا المصنع؟
صابر : نعم.

الناس في حاجة إلى من يرفق بها، لكن الجميع في حالة استعداد للسفر!!

رمزي : سوف تفني دون أن تصل إلى نتيجة مجدية.
(تلفت الجملة انتباه محتسب).
محتسب (في حدة) رمزي.
رمزي : (يرتبك) لا مؤاخذة يا حاج لم أنتبه لوجودك بعد.
عائش : (يدخل مسرعاً وفي يده شطيرة) نعم يا حاج هل ناديتني؟
محتسب : لا، لم أنادك.
عائش : سمعتك تقول يا عائش.
محتسب : لم أقل يا عائش، لقد قلت يا رمزي، ومع ذلك فالحمد لله أنك أتيت.. كنت أريدك.
عائش : (يقطع جزءاً من الشطيرة في لهفة) فيم؟
محتسب : أريدك أن تذهب معي إلى سوق الغلال.
عائش : لماذا؟
محتسب : سوف أقول لك في الطريق.
عائش : وهو كذلك، لحظات وأكون عندك (يدلف إلى الداخل ويعود مسرعاً بيده كيس).
محتسب : ما هذا؟
عائش : هذه مجموعة شطائر، أعددتها لأتسلى بها إلى أن يأتي الغداء.
محتسب : (يهز رأسه متعجباً) هيا بنا (يخرجان).

صابر : ما هذا الذي قلته منذ قليل يا رمزي.

رمزي : عمّ؟

صابر : ألا تذكر.

رمزي : تقصد حينما قلت لك إنك سوف تفنى دون أن تصل إلى نتيجة مجدية؟

صابر : هو ذلك.

رمزي : وما في ذلك؟

صابر : أنسيت أن الحاج محتسب هو صاحب المصنع ويمكن أن تغضبه هذه الكلمات؟!

رمزي : أنا لم أقل سوى الحقيقة.

صابر : أية حقيقة هذه؟

رمزي : العمل في هذا المصنع معناه الفناء... أتدري أين ذهب الحاج محتسب؟

صابر : نعم أدري .. لقد ذهب إلى سوق الغلال لكي يشتري بعض الغلال ويتصدق بها.

رمزي : (وكأنه وقع على دليل) لقد قلتها بنفسك.. ذهب ليشتري بعض الغلال ويتصدق بها.

صابر : نعم. وماذا في ذلك.

هؤلاء الناس في الخارج ينتظرون سلعا مخفّضة وينظرون إلى أجورنا المتواضعة!!

رمزي : هذا معناه إهدار لحقوقنا يا أستاذ.

صابر : كم راتبك عن الشهر الواحد يا رمزي؟

رمزي : (يمط شفتيه ويغمض عينيه) مائة زائد عشرين - مائة وعشرون جنيهاً.

صابر : هذا شيء جميل وإذا كنت تعمل في مكان آخر فكم يكون راتبك؟

رمزي : (يمط شفتيه ويغمض عينيه) ستون زائد عشرين.. ثمانون جنيهاً.

صابر : أعتقد أن الفرق واضح ولا يحتاج إلى توضيح.

رمزي : (في تخاذل) نعم ولكن، ولكن...

صابر : (في ود) ولكن ماذا يا رمزي؟

رمزي : ولكن كان من الممكن أن نأخذ هذه الأموال الفائضة فنحن أولى بها.

صابر : (يضحك حتى تغرورق عيناه).

رمزي : علام تضحك؟ هل قلت ما يستدعي ذلك؟

صابر : (مستمراً في ضحكه) نعم.

رمزي : ماذا يضحكك؟

صابر : (يكف عن الضحك في لهجة جادة) أتعرف كم راتب الحاج محتسب. صاحب هذا المصنع الضخم؟

رمزي : (في استفسار) كم؟

صابر : مائة جنيه فقط.

رمزي : (في حنق) كم؟!!

صابر : كما سمعت.

رمزي : ولِمْ؟

صابر : يقول إن هذا المبلغ يكفي حاجته وحاجة أهله، وأن الباقي من حق من هو في حاجة إليه من الفقراء.

رمزي : غريب أمر الحاج محتسب هذا.

صابر : وما الغرابة في ذلك؟

رمزي : كل هذا الزهد؟ (يهز كتفيه ويمط شفتيه في تعجب) على كل حال، سوف أذهب لتناول الغداء، ثم أعود ثانية.

صابر : لا تذهب، سوف نتناول غداءنا جميعاً مع العمال بالمصنع.

رمزي : لماذا؟

صابر : بمناسبة الاحتفال بتشغيل طاقم المحركات الجديد.

رمزي : (ينظر في سخرية) أنا أتناول غدائي مع العمال؟!

صابر : لا أرى في ذلك شيئاً مخجلاً.

رمزي : بل فيه الكثير.

صابر : يا أخي كلنا أولاد رجل وامرأة.

رمزي : المهم أنا ذاهب لكي أتناول غدائي.

صابر : (في تعجب) كما تريد.

رمزي : (يخرج)

صابر : (يتصفح أحد الدفاتر أمامه ممسكاً بقلمه ويسجل بعض الأشياء)

شلهوب : (يدخل ثم يحتوي المكان كله، في نظرة سريعة، ثم يلقي السلام على صابر) شلهوب، اسمي شلهوب.

صابر : (يرفع نظره من الدفتر) أهلاً وسهلاً تفضل.

شلهوب : (يجلس) الحقيقة أنني عرفت أن حضرتك المسؤول عن كل شيء هنا، فقلت لنفسي لن يساعدك أحد في هذه الدنيا سوى شخص واحد وهو أنت.

صابر : أية مساعدة؟

شلهوب : أنا متأكد من أنك لن تخذلني ولكن أرجوك أن تعدني بالمساعدة.

صابر : إذا كان ذلك في استطاعتي فلن أتأخر.

شلهوب : من هذه الناحية فهو في استطاعتك، وأنا متأكد.

صابر : تكلم ماذا تريد؟

شلهوب : أريد أن تأخذ بيدي.

صابر : إلى أين؟

شلهوب : إلى الوصول لشراء هذا المصنع

صابر : المصنع ليس للبيع.

أقلام واعدة

شلهوب : لقد علمت ذلك من صاحبه.

صابر : هذا أمر عجيب، وكيف أساعدك إذن وأنت تقول إن صاحبه رفض بيعه؟

شلهوب : لقد حدث أن رفض صاحبه بيعه، لكن حديثك أنت معه شيء آخر.

صابر : لماذا؟

شلهوب : لقد علمت أن رأيك عنده محل ثقة، وسيكون لك عندي هدية كبيرة.. سوف تكون مدير هذا المصنع، لا مجرد محاسب فقط، وسوف أسلمك عشرة أضعاف راتبك وسوف تكو....

صابر : (يقاطعه وقد احتقن الدم في وجهه من شدة الغضب) يمكنك أن تخرج حالاً.

شلهوب : أريدك أن تفهمني.

صابر : (في ثورة) قلت اخرج حالاً.

شلهوب : (في رجاء) أرجوك يا أستاذ صابر،

صابر : (وقد ازدادت ثورته) قلت لك أخرج، وإلاّ استدعيت الشرطة (يضع يده على التليفون)

شلهوب: لا داعي لذلك (يغمغم وهو في طريقه إلى الخروج في إصرار) لن يفلت هذا المصنع من يدي، والويل لكم (يخرج).

صابر : (يأخذ كأس ماء من الزجاجة الموضوعة على مكتبه، ويتناوله دفعة واحدة، كمن يطفيء ناراً) لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

محتسب : (يدخل) السلام عليكم.

صابر : (في هدوء) وعليكم السلام.

محتسب : ماذا بك؟

صابر : لا شيء.

محتسب : أنت غير طبيعي، شكلك يوحي بأنك خارج من معركة ضارية.

صابر : (يهز رأسه مقراً ما يقول) نعم.

محتسب : مع من كانت يا ترى؟ إياك أن تقول رمزي؟

صابر : لا، ليس رمزي.

محتسب : الحمد لله.. ومع من كانت إذن؟

صابر : رجل اسمه (يحاول أن يتذكر اسمه) شهاب.. شبانة، لا أدري ما اسمه بالضبط.

محتسب : اسمه شلهوب.

صابر : نعم، ولكن كيف عرفت اسمه؟

محتسب : وأتى إليك يريد شراء المصنع.

صابر : (في دهشة) من قال لك ذلك؟

محتسب : ولما رفضت، رجاك وأغراك.

صابر : (وقد ازدادت حيرته) من أين عرفت كل هذا؟

محتسب : منه هو شخصياً.

صابر : كيف ذلك لقد خرج ثم دخلت أنت؟ كيف استطاع أن يقول لك كل هذا؟

محتسب : لم يقل لي ذلك الآن.

صابر : أنا لا أفهم شيئاً.

محتسب : أنا أوضح لك الأمر.. لقد أتى إليّ شلهوب هذا من قبل، وعرض عليّ أن أبيع المصنع له، فرفضت... رجاني وألح في الرجاء، ولما تضايقت منه فعلت مثل ما فعلت أنت معه.

صابر : الآن فهمت وما العمل إذن؟

محتسب : لا شيء.

صابر : يبدو أن شيئاً ما يدور في رأسه.

محتسب : لا عليك منه.. هيا هيا لكي نتناول الغداء مع العمال بالداخل.

صابر : أجل، ولكن ننتظر إلى أن يعود رمزي.

محتسب : وأين ذهب رمزي.

صابر : ذهب ليتناول غداءه.

محتسب : ألم تخبره أن الغداء اليوم مع العمال.

صابر : أخبرته، ولكنه قال لي إنه مرتبط بميعاد سابق.

محتسب : مرتبط بميعاد سابق، أم لا يريد أن يأكل مع العمال؟

صابر : لا، إنه مرتبط بميعاد سابق.

رمزي : (يدخل) السلام عليكم

محتسب : وعليكم السلام.. ألم يكن في استطاعتك تأجيل هذا الميعاد اليوم؟

رمزي : أي ميعاد؟

محتسب : الميعاد الذي كان على الغداء.

صابر : (يغمز له بكلتا عينيه) الميعاد الذي كان على الغداء مع أحد أصدقائك.

رمزي : أنا لم أكن على ميعاد مع أحد أصدقائي.

صابر : (في ثورة) يا أخي أنسيت الميعاد؟

رمزي : (في دهشة) يا أخي أي ميعاد هذا؟

محتسب : (ينظر إلى صابر ويبتسم) هيا يا صابر (يخرجان).

رمزي : (لنفسه) غريب أمر صابر هذا، أي ميعاد الذي يتحدث عنه؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله، جن الرجل، سوف أذهب إليه لكي أعرف منه أي ميعاد هذا الذي يتحدث عنه (يخرج)

ستار

المشهد الثاني

أقلام واعدة

(المكان نفسه في المشهد الأول بدون إضاءة، فالمكان مظلم تماماً، ولا يوجد سوى بؤرة ضوء، تنعكس على صورة لنجمة سداسية، وصوت يتضرع لها في خشوع).

الصوت: لك وحدك أيتها النجمة تنحني الحياة وتخضع.. فنحن أبناؤك، وحيث حللت نرتع.. بالمجد والعلياء إن رأيناك تقر أعيننا وتشبع وتحت أقدام لوائك نعود إليك ونركع.. لك وحدك نبذل الدماء، وعن نظرك لن نغيب ولسوف نرجع..(ينبعث الضوء فيعم المكان كله.. يبدو شلهوب وقد وضع النجمة على مكتب رمزي، وجلس أمامها على الأرض في وضع من يتعبد.. يقوم مسرعاً.. يلتقط النجمة ويخفيها في ملابسه، ثم يلتفت يميناً ويساراً، ثم يخرج مجموعة أوراق من ملابسه، ويدسها بين الأوراق الموجودة على مكتب محتسب).

شلهوب: (لنفسه) هذه أول خطوة على طريق العودة (يخرج).

رمزي: (يدخل ويجلس خلف مكتبه ثم يبدأ في تصفح بعض الأوراق).

شلهوب: (يدخل ثم يضحك في خبث) شلهوب.. اسمي شلهوب.

رمزي: أهلاً وسهلاً.. تفضل.

شلهوب: شكراً.. بالطبع أنت لا تدري لماذا أتيت إليك الآن؟

رمزي: لا أدري ولكن أهلاً وسهلاً.

شلهوب: (يتلفت حوله وفي صوت كالفحيح) لقد جئتك لكي أنقذك من الأخطبوط.

رمزي: أي اخطبوط تتحدث عنه؟

شلهوب: (في حرارة) الحاج محتسب ومعه صابر.

رمزي: ماذا بهما؟

شلهوب: (في حرارة أكثر وعيناه جاحظتان) الصهيونية.

رمزي: (في قلق) أرجو مزيداً من التوضيح.

شلهوب: لن أستطيع التحدث قبل أن تتأكد.
ممّ أتأكد؟

رمزي: رجائي أن تتأكد من عدم وجود أحدٍ معنا، فهذا الكلام

شلهوب: يمكن أن يؤدي بحياتنا إلى خطر لا نعلم مداه.

رمزي: قل، لا تخف.

شلهوب: الحاج محتسب وصابر يعملان لحسان منظمة صهيونية.

رمزي: كيف؟؟!

شلهوب: (في عتب وكأنه خائف عليه) ألا تدري كيف يا مسكين؟ هذا المصنع وأموال الحاج محتسب كلها من مصادر صهيونية.. الممول الحقيقي للمصنع هي الصهيونية.

رمزي: (في ثورة) أنا لا أصدق ما تقول، فالحاج محتسب رجل شريف، يغار على دينه وعلى أهله.

شلهوب: (يضحك في غير اكتراث) كلهم كذلك، لا بد أن يتظاهروا بهذه الأشياء.

رمزي: أنا أتقاضى راتباً أكثر من راتبه.

شلهوب: لا بد وأن يظهر بهذا المظهر الخداع.. لكنه في الحقيقة متآمر كبير، يتآمر عليكم، وعلى كل من يعمل أو يتعامل معه، حتى أنت... أتدري لماذا يوزع الملابس هكذا بسخاء؟

رمزي: لماذا؟

شلهوب: (في أسلوب تشويق) لن تصدق.

رمزي: قل.

شلهوب: إن المنظمة الصهيونية هي التي أصدرت له أمراً بأن ينفث السم في هذه الملابس.

رمزي: كيف؟

شلهوب: قلت كيف.. السم هذا عبارة عن عقار يوضع على الملابس، فينتج عنه مرض العقم للرجال، وعقار آخر يودي بحياة الأطفال، من سن الميلاد وحتى سن العاشرة في مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد عن سنة.

رمزي: (في غضب) هذا كذب وافتراء، إنه يحب أهل بلده أكثر من نفسه..أنا لا أصدق.

شلهوب: (في خبث) وما مصلحتي يا عزيزي.. كل هذا وصابر الثعبان يعلم به، ويدبر معه!

رمزي: (في غضب والدموع تملأ عينيه) أيها الشيطان الماكر، تريد أن توقع الضغينة بيننا، سوف أتصل بالشرطة لكي تقبض عليك (يتراجع) سأقتلك بنفسي.

شلهوب: (يضحك في نشوة جنونية) اتصل بالشرطة، أو اقتلني بنفسك فهذا لا يضيرني كثيراً، المهم أنني قد بلغت الحقيقة، فلقد تعودت على الصدق، ولا شيء غير الصدق، حتى إذا كان ثمن ذلك هو حياتي أنا شخصياً!

رمزي: حسناً سأقتلك أيها الوغد.

شلهوب: (في لهجة حادة) لي رجاء عندك قبل أن تقتلني (يتوجه نحو مكتب الحاج محتسب ويخرج مجموعة أوراق) انظر في هذه أولاً.

رمزي: ما هذا؟

شلهوب: (يعطيها إياه) اقرأ بنفسك.

رمزي: (ينظر في الأوراق) يا إلهي لا أكاد أصدق.

شلهوب: (يأخذها منه ويقرأ عليه ما فيها) أهم إنجازات الصهيونية في المنطقة رقم، مائتين وست وأربعين.. لقد أنجزت الصهيونية في المنطقة إنجازات مهمة وخطيرة..أهمها ما قام به محتسب عبد ربه وصابر عبدالصبور من العمل على تفشي مرض العقم في المنطقة، والعمل على قتل الأطفال من سن الميلاد حتى سن

أقلام واعدة

العاشرة، في مدة لا تقل عن ستة أشهر ولا تزيد عن سنة.

رمزي : هذا كذب لم يمت أحد من الأطفال أو يصب أحد بالعقم.

شلهوب : تمهل.. إسمع باقي ما جاء في المنشور (يمضي في قراءته) ولقد قام عملاؤنا بتنفيذ مخططهم منذ ثلاثة أشهر فقط، ومن المنتظر الحصول على النتيجة في مدة تتراوح بين ثلاثة إلى تسعة أشهر.. هذا والمنظمة الصهيونية تتقدم بخالص الشكر إلى من قام بوضع لبنة جديدة في هذا الصرح الذي لا بد أن يسود بأثرها.

رمزي : (وقد ملأ الدمع عينيه) آه أحس بدوار لا أقوى على الوقوف (يجلس متهالكاً على أقرب مقعد والعرق يتصبب منه ... يأخذ الكأس.. يرتشف رشفة ثم يقبض عليه في قوة) لا أكاد أصدق أذني.. أكاد أشك في عيني.. هل هذا الكلام من الممكن أن يكون له أساس من الصحة.. الحاج محتسب وصابر يتآمران على بنى جلدتهما مستحيل... مستحيل (شبه فاقد الوعي) لقد كانا دائماً يحدثاني عن الرضا وأثره في النفس.

شلهوب : (يقف خلفه ويدور من حوله كالشيطان) لكنهما كانا أعظم مثال على التمرد.

رمزي : لقد كانا يحثاني على القناعة.

شلهوب : (وما زال يدور حوله) لقد ضربا أروع الأمثلة في الطمع.

رمزي : (يرتشف رشفة) لقد كانا دائماً يحدثاني عن الفضيلة.

شلهوب : لكنهما كانا أعظم من سلك طريق الرذيلة.

رمزي : لقد كانا يحدثاني عن حب الناس.

شلهوب : كانا أحرص الناس على بغض الناس.

رمزي : لقد كانا يفعلان الخير.

شلهوب : كانا أنضج ثمرة للشر عرفتها البشرية.

رمزي : (بدون وعي) وما العمل؟

شلهوب : (يقفز أمامه ويجثو على ركبتيه كمحب يتغزل في حبيبه هامساً) لا بد من الخلاص.

رمزي : (في قلة حيلة) كيف؟

شلهوب: (يهب واقفاً) أن نتخلص منهما.

رمزي : لا أريد أن أكون قاتلاً.

شلهوب : (يرفع سماعة الهاتف ويقدمها له في ود شيطاني) إنه الهاتف لا القتل.

رمزي : كيف.

شلهوب : تليفون صغير إلى الشرطة تبلغهم فيه بالأمر.

رمزي : حسناً (يدير القرص) ألو.. الشرطة.. لو سمحت عندنا جريمة.. أقصد مصيبة.. لا لا إنها حادثة.. ليست كذلك.. إنها خيانة.. ولا كذلك أيضاً.. إنها تآمر على الحياة (يرتبك) أغيثونا.. نعم.. أتحدث من مصنع نور الهدى للملابس الجاهزة.. نعم.. هو ذلك.. شكراً (يضع السماعة).

شلهوب : (في فرح) ماذا قالوا لك؟

رمزي : في الطريق بعد لحظات (يسمع سيارة الشرطة) ها هم قد وصلوا.

شلهوب : الحمد لله (يدخل ضابط ومعه ثلاثة جنود مدججون بالسلاح.

الضابط ماذا عندكم؟

رمزي : عندنا جواسيس.. أعداء للإنسانية.

الضابط : ماذا تقصد؟

رمزي : (يمسك المنشورات ويعطيها للضابط).

الضابط : (في دهشة مشيراً إلى شلهوب) أنت محتسب؟

شلهوب : لا لا يا باشا لا سمح الله.

الضابط : أين هذا الكلب إذن؟

رمزي : لم يأت بعد.

الضابط : وأين صابر هذا؟

رمزي : لم يأت هو الآخر.

الضابط : وكيف حصلتم على هذه الوثائق الخطيرة؟

رمزي : أنا.. أنا.. أنا (مشيراً إلى شلهوب).

الضابط : أنت ماذا؟ تكلم.

رمزي : أنا لا أعرف عنها شيئاً، شلهوب هو الذي يعرف.

الضابط : كيف حصلت على هذه الوثائق يا شلهوب؟

شلهوب : عندما رأيت محتسباً وصابراً وأسلوبهما في التعامل مع الناس بدأ الشك يدب في قلبي، فأخذت عهداً على نفسي أن أقتفي أثرهما، حتى يفتضح أمرهما، واليوم بينما أنا أتتبع خطاهما كعادتي ابتداء من الصباح، حينما خرجا من بيتهما قاصدين العمل، تتبعت خطاهما إلى هنا، ووقفت أنا خارج الحجرة، فسمعت محتسباً يقول لصابر عندي لك خبر سار.. فرد عليه صابر في لهفة، وقال: ما هو؟ قال له محتسب: لقد أثنت علينا الإدارة في أحد المنشورات الوثائقية، فرد صابر في فرح: نرجو أن يكونوا في رضا دائم عنا.. هذا كل ما حدث يا باشا، والله قادر أن يقطع لساني إذا كنت قد أتيت بحرف زيادة من عندي (صوت محتسب وصابر يضحكان بالخارج.. يدخلان).

محتسب : السلام عليكم.

الضابط : (مستفسراً) محتسب وصابر؟

محتسب : نعم.

الضابط : (للجنود) اقبضوا عليهما.

(يقبض جندي على محتسب، والآخر على صابر، بينما الثالث يمشي خلفهما شاهراً سلاحه، في ظهريهما، ويتقدم الجميع الضابط قائلاً) هيا إلى القسم.

محتسب : لماذا!!

الضابط : (وهم في طريقهم إلى الخروج) سوف تعرفان كل شيء هناك (يخرجون والدهشة قد علت وجه محتسب وصابر الذي لم ينبس ببنت شفة).

ستار

أقلام واعدة

تعليق من المحرر:

تبشر هذه المسرحية بموهبة نامية، نعلق عليها أملاً كبيراً في المستقبل، وصاحبها الشاب مع أنه يحمل شهادة الثانوية التجارية فقط، فإنه يجتهد في تعلّم فنون المسرح، وكتابة المسرحية، بالإضافة إلى أنه يتمتع بسلامة التصوّر الإسلامي، وتحرّكه رغبة قوية في إصلاح أحوال المسلمين عن طريق ما يكتبه.

وقد أتيح لي أن أطلع على مسرحية «قبل الغروب» قبل أن تصل إلى صورتها الحالية، واقترحت على مؤلفها الشاب «علي الغريب» بعض التعديلات والتصويبات، فنفذّها، واجتهد في تحسين البناء الفني للمسرحية..

إن الموضوع الذي يتناوله الكاتب، يمثل جانباً مهماً من الصراع الذي تخوضه أمتنا ضد أعدائها، الذين لا يتركون مجالاً حيوياً تتحرك فيه جموع المسلمين إلاّ ويقتحمونه بأساليبهم الملتوية، ومكرهم الخبيث، ويحبطون نتائجه عن طريق الغواية أو الترهيب. وقد اجتهدت المسرحية في الإشارة إلى ذلك، عن طريق الأحداث المركبة، والمشاعر المعقدة، والعواطف المضطرمة، التي تسهم في تعميق الصراع بين الرغبة والواجب.

إن المسرحية تقدم نماذج لأشخاص مسلمين أسوياء، وآخرين يقعون فريسة الغواية أو الجهل، وغيرهم يتحوّلون من واقع معين إلى واقع مغاير، فضلاً عن الشخوص المعادية التي رسمها الكاتب بصورة مقبولة فنياً.

لا ريب أن هذه المسرحية تنبىء عن كاتب صاعد، وموهبة نامية، تستطيع أن تزدهر إذا أخذت بالأسباب، وانعطفت نحو المزيد من القراءة والدرس، في مجال المسرح والأدب المسرحي.. ونتمنى للشاب «علي الغريب» التوفيق والسداد والتفوق، والله المستعان.

مؤسسة الرسالة

تزف البشرى إلى طلبة العلم بصدور باكورة الموسوعة الحديثية

مسند الإمام أحمد بن حنبل

بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ونخبة من المحققين الأكفاء

مميزات هذه الطبعة

١ - مقابلة على أكثر من ثلاثة عشر مخطوطاً..

٢ - ضبط كامل للنص وأسماء الرواة..

٣ - دراسة شاملة لرجال الإسناد والحكم على الحديث

٤ - فهارس علمية شاملة للأحاديث والرواة

تصدر تباعاً في خمسة مجلدات كل أربعة أشهر

تطلب من:

دار المؤيد للنشر والتوزيع

الرياض - تلفون: ٤٠٢٥١٩٧ / ٤٠٣١٣٧٧ فاكس: ٤٠٢٢٦١٥